محاضرات

في

مادة الإعجاز القرآني

قسم علوم القرآن
كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة البصرة

أ.م د. فلاح عبد الحسن هاشم

عنوان الكتاب:.....
دار النشر:.....
رقم الطبعة:.....
الرقم الدولي:.....

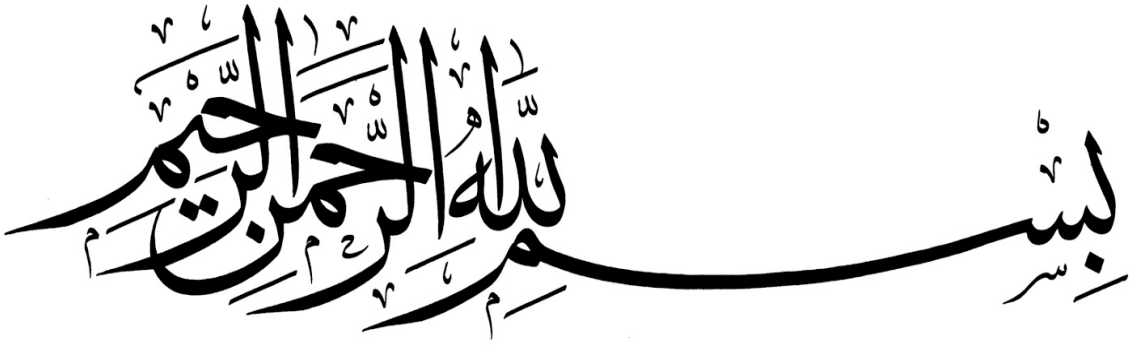
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

تمهيد ٥

أهمية بحث الإعجاز القرآني ٥

سبب المعجزات والدلائل ٦

معجزة كل نبي تشابه ما يفتخر به قومه ٦

معجزة نبي الإسلام فيما يفتخر به قومه ٦

سبب كون المعجزة دليلا على صدق النبوة ٧

صور إعجاز القرآن ٧

مفهوم الإعجاز ٨

أولاً: الإعجاز لغة ٨

ثانيا: الإعجاز اصطلاحا ٨

مفهوم المعجزة ٩

أولا: تعريف المعجزة لغة واصطلاحا ٩

ثانيا: شرائط المعجزة ١٠

ثالثا: الفرق بين الإعجاز والمعجزة ١١

رابعا: الفرق بين المعجزة والكرامة ١٢

خامسا: الفرق بين المعجزة والسحر ١٢

مفهوم التحدي ١٣

التحدي في الاصطلاح ١٣

آيات صريحة في التحدي..... ١٣
عموم الإعجاز للعرب وغيرهم..... ١٣
الإعجاز في المضمون..... ١٤
القرآن أعظم معجزة من غيره من المعجزات..... ١٤
معجزة القرآن هي الوحي بذاته لا غيره..... ١٥
معجزة القرآن عقلية لا حسية..... ١٥
أسباب كون القرآن معجزة فكرية وعقلية..... ١٥
الإعجاز ضرورة دفاعية..... ١٦
بيان آخر للضرورة الدفاعية..... ١٧
❑نظرات عن الإعجاز في دراسات المتقدمين ١٨
❑دراسات عن إعجاز القرآن في أبرز دراسات المتأخرين ١٨
بداية النظر في إعجاز القرآن..... ١٨
الإعجاز في القرن الثالث..... ١٩
الإعجاز في القرن الرابع..... ٢٠
الإعجاز في القرن الخامس..... ٢٠
الإعجاز في القرن السادس..... ٢١
الإعجاز في القرن السابع..... ٢٢
الإعجاز في القرن الثامن..... ٢٢
الإعجاز من القرن التاسع إلى نهاية القرن الثالث عشر..... ٢٣

الإعجاز في القرن الرابع عشر..... ٢٣
إعجاز الصرفة..... ٢٤
جذور فكرة الصرفة..... ٢٤
العلماء القائلون بإعجاز الصرفة..... ٢٥
ثلاثة آراء في توجيه كيفية إعجاز الصرفة..... ٢٦
مناقشة القائلين بالصرفة..... ٢٩
أولا: المناقشة بالأدلة النقلية..... ٢٩
ثانيا: المناقشة بالأدلة العقلية..... ٣٠
مفهوم الإعجاز البياني أو البلاغي أو اللغوي..... ٣٣
شروط الفصاحة..... ٣٣
اختلاف الأسلوب القرآني عن أساليب العرب..... ٣٥
الإعجاز البلاغي ونظرية النظم..... ٣٦
دواعي نظرية النظم..... ٣٦
النظم في القرآن..... ٣٧
وجوه النظم في القرآن..... ٣٨
أولا: الدقة في اختيار الألفاظ..... ٣٨
أمثلة قرآنية على دقة اختيار الكلمات القرآنية..... ٣٩
ثانيا: النظم والتناغم في أحرف كلمات القرآن (الإعجاز الصوتي) ٤١
ثالثا: دقة النظم في تركيب الجملة القرآنية..... ٤٣
أمثلة قرآنية على النظم في التركيب الجملة القرآنية..... ٤٥

خصائص الجملة القرآنية..... ٤٥
أساليب التعبير القرآني..... ٤٧
مقدمة..... ٤٧
أولا: أسلوب التقديم والتأخير..... ٤٧
أهمية التقديم والتأخير..... ٤٨
أسباب ودواعي التقديم في الكلام القرآني..... ٤٩
ثانيا: أسلوب (الذكر والحذف)..... ٥٠
الحذف في الاصطلاح..... ٥٠
أقسام إيجاز الحذف..... ٥١
أمثلة على الذكر والحذف في التعبير القرآني..... ٥٢
ثالثا: أسلوب التوكيد وتنوعه..... ٥٣
أهداف التوكيد..... ٥٤
أقسام التوكيد..... ٥٤
أساليب التوكيد..... ٥٥
التوكيد في جملة وعدمه في جملة مشابهة..... ٥٥
رابعا: أسلوب التعريف والتنكير..... ٥٦
أولا: مفهوم النكرة والمعرفة في اللغة..... ٥٧
ثانيا: أهداف التنكير والتعريف..... ٥٧
(أ): التنكير..... ٥٧
(ب) التعريف..... ٥٨

ثالثا: المقصود من التعريف والتنكير في الأساليب التعبيرية..... ٥٩
رابعا: أمثلة قرآنية..... ٥٩
خامسا: أسلوب التشابه والاختلاف..... ٦١
المقصود من التشابه والاختلاف..... ٦١
أمثلة قرآنية على التشابه والاختلاف..... ٦٢
مفهوم الإعجاز الغيبي..... ٦٥
الفرق بين الإعجاز البياني والإعجاز الغيبي التاريخي..... ٦٥
شواهد على عدم وقوع التحدي في الإعجاز الغيبي..... ٦٨
أولا: الإخبار عن غيب الماضي..... ٦٩
أهداف غيب الماضي..... ٧٠
ثانيا: الإخبار عن غيب المستقبل..... ٧٠
أهداف الإخبار عن غيب المستقبل..... ٧١
الإعجاز النفسي..... ٧٣
أولا: مفهوم الإعجاز النفسي..... ٧٣
الإعجاز النفسي في كلمات العلماء..... ٧٤
معنى التأثير النفسي والقلبي..... ٧٤
نماذج من الإعجاز النفسي..... ٧٤
نماذج قصصية..... ٧٥
الإعجاز التشريعي..... ٧٦
مفهوم الإعجاز التشريعي..... ٧٦

الإعجاز التشريع وقلة اهتمام العلماء..... ٧٦
مزايا وخصاص الإعجاز التشريعي..... ٧٦
نماذج من الإعجاز التشريعي..... ٧٨
الإعجاز العلمي في القرآن..... ٨١
أولا: مفهوم الإعجاز العلمي..... ٨١
اهتمام العلماء بالإعجاز العلمي..... ٨١
خصائص الإعجاز العلمي في القرآن..... ٨٢
ملاحظات مهمة على الإعجاز العلمي..... ٨٢
ضوابط للقول بالإعجاز العلمي..... ٨٤
نماذج من الإعجاز العلمي..... ٨٤
فهرس الموضوعات..... ٨٧

تمهيد

- **مفهوم الإعجاز**
- **الإعجاز ضرورة دفاعية**
- **التحدي**

في المحاضرة الأولى سوف نتكلم ونبحث في قضايا تمهيدية للإعجاز القرآني، وهذا البحث التمهيدي يتضمن أمور ثلاثة:

الأول: مفهوم الإعجاز، وسوف نوضح معنى الإعجاز لغة ومعناه في الاصطلاح وعند العلماء.

ثم الأمر الثاني: الإعجاز ضرورة دفاعية وما هو المقصود من الضرورة الدفاعية؟

ثم الأمر الثالث: هو مفهوم التحدي، لإن الإعجاز في القرآن -كما سوف نبينه- مرتبط أساساً بالتحدي، وسوف نبين مفهوم هذا التحدي.

وقبل كل ذلك نتكلم باختصار عن أهمية الإعجاز القرآني:

أهمية بحث الإعجاز القرآني

مسألة الإعجاز القرآني شغلت مساحة كبيرة في الفكر الإسلامي، ولا تزال كذلك حتى عصرنا الحاضر، فقد اهتم بها كثير من العلماء المسلمين وغيرهم، ودوّنوا في ذلك كثير من البحوث والدراسات والكتب، وكان نتيجة ذلك أنهم توغلوا بعمق في دراسة القرآن من أجل معرفة حقيقة الإعجاز في القرآن.

النبوات مشفوعة بالمعجزات والآيات

وتنبع أهمية البحث عن حقيقة الإعجاز القرآني من كون جميع النبوات تكون مشفوعة بمعجزات وآيات ودلائل تؤيد صدق النبي في رسالته أو نبوته. ولم تتخلف نبوة عن ذلك. ولهذا تكون معرفة حقيقة الإعجاز ذا فائدة مهمة لأنه ثمرته تقع في عمق الاعتقاد والإيمان والتصديق.

سبب المعجزات والدلائل

من المعروف أن الله تعالى عندما بعث الرسل والأنبياء فهذا البعث إنما هو بهدف دعوة الناس إلى التوحيد ونبذ الكفر، لما في ذلك من كمالٍ لهم، وحيث إن النبوة تعني وتستلزم القول باتصالها بالسماء والوحي، وهو أمر ترفضه العقول من دون دليل واضح يثبت ذلك، ولهذا كان البعث دائماً مشفوعاً بمعجزات إلهية تؤكد صحة دعوى هؤلاء الرسل وتوجب إذعان الناس للرسالة والنبوة.

المعجزات مختلفة الأنماط

المعجزات التي جاء بها الأنبياء لإثبات صدق نبواتهم لم تكن على نمط واحد، بل كانت مختلفة باختلاف الزمان والمكان، فكانت دائماً من طبيعة ما يحسنه قوم النبي أو الرسول، لتكون المعجزة قاطعة لكل حجة، وأقوى دلالة على صدق النبي في دعواه.

معجزة كل نبي تشابه ما يفتخر به قومه

لذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يختص كل نبي بمعجزة تشابه ما يفخر به قوم أولئك الأنبياء ويعد من أهم إبداعاتهم ومما اشتهر وشاع في زمانهم، ولهذا اختص - على سبيل المثال - موسى(ع) بالعصا واليد البيضاء، بسبب شيوع وتعارف السحر في زمانه، واختص نبي الله عيسى بشفاء المرضى من الأكمه والأبرص وإحياء الموتى؛ بسبب شيوع الطب اليوناني في عصر المسيح (ع).

معجزة نبي الإسلام فيما يفتخر به قومه

ولم تكن النبوة في الإسلام خارجة عن هذا السياق، فقد كان العرب في الجاهلية بارعين في الفصاحة والبلاغة ونظم الشعر والخطابة، وكان تقدير الإنسان يقوم على أساس ما يحسنه من نظم الكلام وإتقانه وجماله، ولذلك اختص النبي محمد (ص) بمعجزة القرآن – كما هو الصحيح على ما سوف يأتي-لما فيه من

البيان والبلاغة والفصاحة تفوق فصاحة قومه، ولهذا آمنوا به، لأنه لا يمكن أن تكون تلك البلاغة والدقة والنظم يمكن أن يصدر من غير الله تعالى.

سبب كون المعجزة دليلا على صدق النبوة

وأما سبب كون المعجزة دليلاً على صدق النبي فيما يخبر به من النبوة؛ فلأن هذه المعجزة التي يأتي بها النبي والتي يجريها الله على يديه - كما سوف يأتي تعريف المعجزة - هي أمر خارج عن القوانين الطبيعية، ولا يُقدر على الإتيان بها دون تدخل من السماء، ولا يمكن أن يجري الله المعجزة لشخص كاذب في ادعائه، لأن ذلك يعني أن الله يريد إضلال الناس وهو لا يصدر منه ذلك.

صور إعجاز القرآن

إعجاز القرآن الكريم له صور ووجوه، منها:

(١) ما هو إعجاز بيان مشتمل على فصاحة وبلاغة وروعة في الأسلوب ودقة في التنظيم، فهو معجز من حيث بلاغة ألفاظه التي تم اختيارها وانتقاؤها بدقة وعناية فائقة، ومن حيث النَّظْم المستند على الإبداع في الإيجاز والتشبيه والمجاز.

(٢) ما هو إعجاز تاريخي ذو إخبار عن غيب الماضي والمستقبل.

(٣) ومنها ما هو إعجاز نفسي متمثل في حديث القرآن عن نفس الإنسان وتصويره وبيانه لصفات هذه النفس وأسرارها العميقة.

(٤) وكذلك ثمة إعجاز تشريعي له صلة بتشريع الأحكام الناشئة من مصالح تتعلق بحياة الإنسان في دنياه وآخرته يعجز الإنسان عن إدراكها، تشريعات واقعية مرنة شاملة وتنسجم مع فطرة الإنسان.

(٥) وكذلك الإعجاز العلمي ذات الصلة بكشف القرآن عن مسائل علمية تتعلق بالحقائق الكونية التي لم تكن معروفة في زمن نزول القرآن، ثم ثبت صحتها في وقت لاحق. وكل هذه الصور سوف ندرسها لاحقاً.

مفهوم الإعجاز

أولاً: الإعجاز لغة

الإعجاز مصدر مشتق من الجذر الثلاثي (عَجْز)، ويشتق منه: عاجز وعجوز ومعجزة وأعجاز ونحو ذلك. والعجز له معنيان أصليان هما: الضعف، والآخر مؤخر الشيء.

فالعجز هو الضعف، وهو مؤخرة الشيء. وتقول اعجزني فلان إذا ضعفت عن طلبه وإدراكه. والعجز ما بعد الظهر، وعجيزة المرأة مؤخرتها وكذلك عجز الرجل. وسميت العجوز كذلك لعجزها وضعفها عن كثير من الأمور. والإعجاز يأتي بمعنى الفوت والسبق، فتقول اعجزني فلان أي سبقني وفاتني وجعلني عاجزاً عن طلبه وإدراكه.

ثانيا: الإعجاز اصطلاحا

الإعجاز يختلف مفهوماً عن المعجزة لغة واصطلاحاً، فالإعجاز لغة مصدر الفعل (أعجز) ومعناه إثبات العجز، وهذا الإثبات للعجز والضعف وعدم القدرة يكون بواسطة أمرٍ معجز، فالإعجاز هو ثمرة المعجزة، بمعنى أن هناك معجزة وبسببها حدث الإعجاز وثبوت الضعف.

وهو حالة نفسية وتكوينية تعرض على الإنسان، وشعور الإنسان بحالة الضعف، فأقول: إعجاز القرآن، أي أن فيه إعجازاً، أي ما يعجز أن يؤتى بمثله. إذن الإعجاز لفظة مشتقة من إثبات (العجز).

أمّا (إعجاز القرآن) فهو مركب إضافي. وقد عُرّف في الاصطلاح أنه: "إظهار صدق النبي في دعوى الرسالة من خلال إظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن - وعجز الأجيال بعدهم".

وتعريف ثان: " أداء المعنى بطريق يعدّ أبلغ من جميع ما عداه من الطرق".

وتعريف ثالث: "يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به".

والإعجاز القرآني عموماً يتكون من عنصرين: أحدهما: ضعف قدرة الإنسان أمام المعجزة. وثانيهما: استمرار هذا الضعف واستمراره زمانياً. وهكذا يرتبط الإعجاز بالمعجزة ولا ينفك عنها ولهذا من المناسب التعرض لمفهوم المعجزة.

مفهوم المعجزة

أولا: تعريف المعجزة لغة واصطلاحا

المعجزة في اللغة هي اسم فاعل مشتق أيضاً من الفعل الرباعي (أعجز). فهناك فعل ثلاثي (عجز) وهناك فعل رباعي (أعجز)، والأول نشتق منه عاجز على وزن فاعل، واسم الفاعل من أعجز هو (مُعْجِز) بكسر الجيم، واسم المفعول (مُعْجَز) بفتح الجيم، ومؤنثه مُعجِزة. مثل مؤمن ومؤمنة. مشكل ومشكلة.

والفرق بين اسم الفاعل (عاجز) و (معجز) أن الأول يستعمل للضعيف والثاني يستعمل للقوي.

أما المعجزة اصطلاحاً: فلم يرد هذا المصطلح في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية. بل ظهر هذا المصطلح في بدايات القرن الثالث الهجري. واستعيض عنها في القرآن بكلمة آية أو بينة. (**الآيات عند الله**) (**قد جاءكم بينة من ربكم**). أو البرهان أو السلطان.

وقد عرّفت المعجزة بعدة تعريفات متقاربة:

منها (الشيخ المفيد): **"الأمر الخارق للعادة، المطابق للدعوى، المقرون بالتحدّي، المتعذر على الخلق الإتيان بمثله".**

ومنها (السيوطي): **"أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية".**

ومنها (الخوئي): **"أن يأتي المدعي للنبوة الإلهية - بما يخرق القوانين الطبيعية ويعجز عنه غيره- شاهداً على صدق دعواه"** مقيداً بما إذا أمكن "أن يكون صادقاً في تلك الدعوى". وهذا القيد مهم ويتفرع عليه أنه إذا امتنع صدق المدعي في دعواه بحكم العقل، أو بحكم النقل الثابت والصحيح، فلا يكون ذلك شاهداً على الصدق، ولا يسمى معجزاً في الاصطلاح وإن عجز البشر عن أمثاله:

مثال الأول: ما إذا ادعى أحد أنه إله، فإن هذه الدعوى يستحيل أن تكون صادقة بحكم العقل، للبراهين الصحيحة الدالة على استحالة ذلك.

ومثال الثاني: ما إذا ادعى أحد النبوة بعد نبي الإسلام، فإن هذه الدعوى كاذبة قطعا بحكم النقل الصحيح بأن نبوته خاتمة النبوات.

ومنها: **"الأمر الخارق للعادة والحاصل من دون مقدمات، بخلاف السحر، فإنه وإن كان خارقاً للعادة إلَّا أنه يعتمد على مقدمات مضبوطة معينة".**

ومنها (الطباطبائي): **"الأمر الخارق للعادة، الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة، لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل".**

ومنها وهو الأفضل (هادي معرفة): **"كل أمر خارق للعادة، إذا قرن بالتحدي، وسلم عن المعارضة، يظهره الله على يد أنبيائه؛ ليكون دليلاً على صدق رسالتهم".**

ثانيا: شرائط المعجزة

فالمعجزة - بملاحظة التعاريف- ينبغي توفرها على شروط، منها:

الأول: أن يكون المعجز فعل الله، فمن تعلم فعلاً يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله لا يكون من المعجزة اصطلاحاً.

الثاني: أن يكون خارقا للعادة إذ لا إعجاز دونه.

الثالث: أن يتعذر معارضته، فإن ذلك حقيقة الإعجاز.

الرابع: أن يكون ظاهراً على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له، ولا يشترط التصريح بالتحدي، بل يكفي قرائن الأحوال، مثل أن يقال له إن كنت نبيا فأظهر معجزا ففعل.

الخامس: أن يكون موافقاً للدعوى، فلو قال معجزتي أن أحيي ميتاً ففعل خارقا آخر، لم يدل على صدقه. أو كما لو مسح على رأس مريض فمات أو بصق في البئر فاختفى مثل ما فعل مسيلمة.

السادس: ألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذبا له، فلو قال معجزتي أن ينطق هذا الذئب، فنطق لكن تكلم وقال إنه كاذب، لم يعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد كذبه.

السابع: ألا يكون متقدماً على الدعوى، بل مقارنا لها، لأن التصديق قبل الدعوى لا يعقل، فلو قال معجزتي ما قد ظهر على يدي قبل، لم يدل على صدقه ويطالب به بعد، فلو عجز كان كاذبا قطعا. والمشهور أن الخوارق المتقدمة على دعوى النبوة كرامات وممهدات للنبوة.

ثالثا: الفرق بين الإعجاز والمعجزة

بما تقدم يتضح أن الإعجاز أعم من المعجزة، فالأعجاز تارة يكون بمعجزة مثل معجزة القرآن التي اشتملت على التحدي وسلمت من المعارضة ولم ولن يستطيع أحد أن يأتي بمثلها لا في وقت نزول القرآن ولا بعده.

وتارة يكون الإعجاز بأمر خارق للعادة لكن في خصوص وقت ادعاء النبوة، كما في الإعجاز العلمي فهو إخبار عن حقائق علمية أو كونية وقت النبوة، ووجه الإعجاز في ذلك أن الناس آنذاك غير قادرين عادةً على إدراك تلك الحقائق

بل يتعذر معرفتها، بينما نجد أن النبي الأمي كشف عن ذلك وهو يدل على قدرة خارقة عالمة تحدثت على لسانه، وقد اتضح فيما بعد للأجيال اللاحقة تلك الحقائق. أو الإعجاز التاريخي الذي هو إخبار عن مغيبات حصلت في وقت النبوة، وبانت حقيقتها فيما بعد. فلم يكن ذلك ممكناً أن يصدر من النبي الأمي لولا اتصاله بالوحي.

رابعا: الفرق بين المعجزة والكرامة

الكرامة اسمٌ يوضَعُ للإكرام ويدل عليه، وهي أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه وغير مقترنة بالتحدي، لكنها تحصل لبيان فضيلة ومنزلة الولي عند الله تعالى. كإتيان مريم (ع) ثمر الشتاء في الصيف، وثمر الصيف في الشتاء، ومثل بعض الكرامات التي تحصل للأولياء والصالحين.

خامسا: الفرق بين المعجزة والسحر

المعجزة خارقة للعادة: أي أنها تأتي مخالفة لقوانين الكون، فهي من الله تعالى، وأما السحر فإنه يحدث بحسب قوانين خاصة ومقدمات يمكن تعلمها، فالسحر من الساحر لا من الله.

والمعجزة تجري على يد النبي مقرونة بالتحدي، وأما السحر فهو يجري على يد الساحر ولا يقترن بالتحدي في الغالب، وإذا حصل التحدي من الساحر وجد من السحرة من يعارضه، ويأتي بمثل ما جاء به وأعظم.

فالمعجزة مثل عصا موسى (ع) التي تحولت إلى حية حقيقة، وابتلعت عصي السحرة وحبالهم، ثم عادت عصا كما كانت، وأما عصيهم فإنها لم تتحول حقيقة إلى ثعابين، وإنما كانت مجرد خيال للرائي أنها كذلك.

مفهوم التحدي

التحدّي في اللغة يعني المباراة والمبارزة، وفلان يتحدى فلاناً أي يباريه وينازعه الغلبة.

التحدي في الاصطلاح

التحدي اصطلاحاً لا يختلف عن معناه اللغوي فهو: "**طلب الإتيان بالمثل على سبيل المنازعة والغلبة، ويتحدد المثل تبعاً لما يتحدى به**". والتحدي في القرآن: "**هو طلب الإتيان بمثله، حيث يتحدى الله تعالى خلقه بأن يأتوا بمثل هذا القرآن**" وقد ذكر القرآن ثلاث آيات صرحت في ذلك:

آيات صريحة في التحدي

قال تعالى: (**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الإسراء: ٨٨.

وقال تعالى: (**أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**) هود: ١٣.

قال تعالى: (**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) البقرة: ٢٣.

وهكذا يكون القرآن إعجازاً بملاحظة أن الذي جاء به رجل أمي لم يتعلم من معلم ولم يتلق شيئا من معارف القرآن العالية والبيانات البديعة المتقنة من أحد من الناس.

عموم الإعجاز للعرب وغيرهم

والآيات المشتملة على التحدي مختلفة في العموم والخصوص، والآية الأولى من أعمها تحدي، وفيها نلاحظ، أنه لو كان التحدي مختصاً ببلاغة القرآن

وفصاحته وجمال أسلوبه فقط لاقتصر على عرب الجاهلية من أهل البلاغة والفصاحة والخطابة.

الإعجاز في المضمون

بما ذكرنا له دلالة على أن القرآن قد أعجز العرب ببيانه وفصاحته **وكذلك بمضمونه ومعناه.** فالإعجاز اللغوي موجهاً للعرب خاصة، والإعجاز بالمضمون عام، للعرب وغيرهم من الأمم، فلا يصحّ أن يتحدى الله تعالى العجم بلغة لا يعرفونها.

ومن أهم المضامين المعجزة في القرآن الكريم: تشريعاته التي أشتمل عليها، وإعجازه العلمي أو العلوم الكونية التي أشتمل عليها، والحقائق العلمية التي لم تكن معروفة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إنه معجز في بلاغته، معجز في ترابطه وتماسكه، معجز في تشريعاته وهدايته، معجز في معارفه وعلومه، معجز في غيوبه وأسراره، إنه معجزة للبليغ في بلاغته وفصاحته، وللحكيم في حكمته، وللعالم في علمه، وللمشرع في تشريعاته، وللسياسي في سياسته، وللحاكم في حكومته، إنه روح من الله، كما يقول تعالى: (**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**).

القرآن أعظم معجزة من غيره من المعجزات

يعد القرآن أعظم معجزة وأعظم تحد، فقد كانت للنبي معجزات أخرى غير القرآن، كشق القمر، وتسبيح الحصى، ونبوع الماء من بين يديه، وغير ذلك مما ذكر، ولكن القرآن يعدّ أعظم هذه المعجزات شأناً، وأوضحها حجة، ذلك لأن العربي الجاهل بعلوم الطبيعة وأسرار الكون، قد يشك في هذه المعجزات، وينسبها إلى أسباب معينة كالسحر ونحو ذلك. ولكنه لا يشك في بلاغة القرآن

وإعجازه، لأنه يحيط بفنون البلاغة، ويدرك أسرارها. على أن تلك المعجزات الأخرى موقتة لا يمكن لها البقا، فسرعان ما تعود خبراً ماضياً تضعف بمرور الزمن وتبدأ معها التشكيك والتوهين. أما القرآن فهو باق إلى الأبد، وإعجازه مستمر مع الأجيال.

معجزة القرآن هي الوحي بذاته لا غيره

أن الوحي هو بذاته معجزة، أي أن القرآن وكلام الله هو المعجزة، بخلاف معجزات الأنبياء السابقين، فهي معجزات مغايرة للوحي، وهذا يعني أن في معجزة الإسلام ثمة اتحاد بين الدليل والمدلول عليه، وبهذا تكون المعجزة أجلى وضوحاً وأشد تأثيراً وأكثر بقاء واستمراراً.

معجزة القرآن عقلية لا حسية

المعجزة في القرآن عقلية لا حسية، تخاطب العقل والفكر وتدعو للتأمل فيما حوله من مظاهر الطبيعة، والتفكير في السنن الكونية والاعتبار بمصائر الأمم السابقة.

بينما الحسي هو ما يمكن إدراكه بالبصر، وما يمكن لمسه ومشاهدته، كمعجزة حية موسى وطوفان نوح ونار إبراهيم.

المشركون قد طالبوا النبي (ص) بمعجزات حسية لكن القرآن أبى ذلك وأصر إلا أن تكون المعجزة عقلية، يقول تعالى: (**قالوا لن نؤمن حتى تؤتى مثل ما أوتي رسل الله**). وقال: (**وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه**). وبعض الآيات الأخرى التي تدل على طلبهم ينبوعاً من ماء يتفجر، أو جنة من نخيل وأعناب تجري فيها الأنهار.

أسباب كون القرآن معجزة فكرية وعقلية

ومن جملة الأسباب التي لم يستجب الله تعالى للمعجزات الحسية:

١- تكذيب السابقين لرسلهم، رغم المعجزات الحسية.

٢- المعجزة الحسية تتعرض دائماً للسخرية وتوصف بالسحر: (**وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين**).

٣- رأفة بالعباد لأنه لو أنزل آية حسية ولم يؤمنوا بها لعذبهم عذاباً شديداً، قال: (**إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم، فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين**).

٤- أن الإيمان الصحيح، في أساسه هو قناعة نفسية، واختيار عقلي حر، (**لا إكراه فيه**)، وهداية، والمعجزة المادية، قناعة حسية تلغي حرية الاختيار، ولن تجدي المعجزات إذا لم تكن الهداية الإلهية (**ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله**).

٥- أن المعجزة العقلية تتجاوز حدود الزمان والمكان والإنسان، بخلاف المعجزات المادية الموقوتة بزمانها وأقوامها الذي شهدوها.

الإعجاز ضرورة دفاعية

وقد جاء الاهتمام بالإعجاز القرآني متأخراً في العصر العباسي عندما حدث خلاف في معنى الإعجاز القرآني، كضرورة دفاعية عن القرآن؛ وهذه الضرورة تتمثل في نقطتين:

الأولى: أن أحد علماء المعتزلة وأبرزهم - وهو إبراهيم بن سيار المشهور بالنظّام المتوفى سنة ٢٢٤هـ - زعم أن الإعجاز إنما هو بالصرفة، أي أن الله تعالى قد صرف الناس عن أن يأتوا بمثل القرآن، وقد كانوا قادرين على ذلك لولا التدخل الإلهي في منعهم عن ذلك فليس هناك إعجاز ذاتي للقرآن.

الثانية: والدافع الثاني الذي ترافق مع القول بالصرفة وساهم في نشأة الاهتمام بالإعجاز القرآني وهو انتشار بعض الشبهات التي زعمت أن ألفاظ القرآن

فيها ما هو معيب وأن بعض الأساليب لم تكن متسمة بالبلاغة والفصاحة؛ مما يتنافى مع كونه معجزاً. وهكذا أضحت دراسة الإعجاز والاهتمام به وتعميق أبحاثه ضرورة دفاعية.

بيان آخر للضرورة الدفاعية

وهناك بيان آخر مهم لكون الإعجاز ضرورة دفاعية أشار له بعض العلماء، وهو أن رسالة الأنبياء واضحة لا ريب فيها فأن العقول بفطرتها تدرك أن الرسالة ومضمونها هي حق بلا حاجة إلى إقامة دليل وبرهان على صدقها، يقول تعالى: ذلك الكتاب لا ريب فيه) ويقول: (**له دعوة الحق**) ويقول: (**يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم**) ويقول: (**وأكثرهم للحق كارهون**) ويقول: (**بالحق أنزلناه وبالحق نزل**) ويقول: (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم**) الخ.

ولهذا كان المشركون يؤمنون بوجود خالق وهو صريح بعض آيات القرآن. لكن ثمة تعارض بين مضمون الدعوى النبوية التي تدعو للتوحيد ولكثير من المبادئ كالعدالة والمساواة وهي مبادئ تتقاطع مع مصالح كثير من الناس ولهذا يسعون إلى تشويش الرسالة والتشكيك بها، فيثر ذلك على عموم الناس، ولهذا أضحت هناك حاجة للبرهان وللدليل من خلال المعجزة، فالإعجاز إنما تحقق كضرورة دفاعية عن مضمون الرسالة بما تحتوي من عقيدة وأحكام، وإثبات صحتها بالمعجزة.

❑ **نظرات عن إعجاز القرآن في أبرز دراسات المتقدمين**

❑ **دراسات عن إعجاز القرآن في أبرز دراسات المتأخرين**

تكلمنا سابقاً وقلنا إن الإعجاز مفهوم أعم من المعجزة، نعم القرآن هو المعجزة الخالدة، وهو أساس كل إعجاز. لقد ثبت للمشركين والكفار وقت النبوة أن القرآن ليس من كلام البشر بل هو من الله تعالى وثبت أنه معجزة لا يمكن الإتيان بمثله كما تقدم في التحدي.

وبقي الحال على هذا الحال في حياة الصحابة والتابعين لعدم توفر الدواعي في غير هذا الحال. فلم يقفوا ليتدبروا في مظاهر الإعجاز في هذه المعجزة ولا في وجوه وأنواعه.

وهكذا طيلة القرنين الأول والثاني لم ينتقل أحد من العلماء من الكلام عن المعجزة إلى مظاهر الإعجاز.

وفي مطلع القرن الثالث حدث ما يدعو المسلمين إلى الوقوف أمام القرآن المعجزة والتأمل فيها وملاحظة ما فيها من إعجاز. وقد تكلمنا على المبررات التي دعت إلى الاهتمام بالإعجاز في المحاضرة الأولى.

بداية النظر في إعجاز القرآن

وعندئذ بدأ النظر في إعجاز القرآن والكلام حوله فأقبل العلماء بمختلف تخصصاتهم كل ينظر له من زاوية اختصاصه، وتتابعت النظرات الفاحصة النافذة على أسلوب القرآن وعلى معانيه وعلومه وموضوعاته وأخباره.

وكل هذه النظرات كان الباعث لها هو الحصول على جواب لماذا كان القرآن معجزاً للبشر؟ وما هو وجه الإعجاز فيه الذي حصل فيه التحدي؟ ما هو الذي عجز العرب عن الإتيان بمثله؟ وهل التحدي والإعجاز مستمر أم لا؟